

حديث الافتراق وموقف العلامة البوطي منه

ببحث مقدم من

الدكتور بديع السيد اللحام

مدرس الحديث النبوي وعلومه في كلية الشريعة بجامعة دمشق

إلى

مؤتمن الإمام الشهيد

محمد سعيد رمضان البوطي

قراءة في فكره ومواقفه

الاثنين ٣٠ / ٣ / ٢٠١٥ م

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد:

فلا أظن أن حديثاً من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم قد أخذ حيزاً من الاستشكال والخلاف إن من حيث الإثبات أو من حيث الفهم والتوجيه مثل ما وقع لحديث الافتراق، أعني الحديث الذي أخبر فيه النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق إلى أكثر من سبعين فرقة، والذين يُعرف عند كثير من الناس بحديث (الفرقة الناجية).

فلقد تعددت مواقف العلماء والدعاة والوعاظ وغيرهم في هذا الحديث، وقبل أن أذكر الآراء حول هذا الحديث لا بد لي من أن أقف عند بيان توجيهه وحكم أئمة أهل الحديث عليه، ومن ثم سأعرج على موقف النافين له مبيئاً وجهة نظرهم، ثم موقف المثبتين له، وتوجيههم لمعناه، وأختتم ببيان موقف العلامة الشهيد السعيد محمد سعيد رمضان البوطي منه ووجه تأويله له.

أولاً : تخريج الحديث وقول المحدثين في درجته:

روي حديث الافتراق من حديث عدد من الصحابة ، بعض طرقه وصلت حد الشهرة، مما حدا ببعض المشتغلين بالحديث إلى الحكم على الحديث بالتواتر، وسأعرض - في عجالة - للصحابة الرواة، ومن أخرج حديث كل منهم من أصحاب المصنفات المشهورة، ولن أشير إلى من أخرجه من أصحاب المصنفات التي لم تبلغ حد الشهرة. فأقول:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه: " افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة" رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم. قال الترمذي: "حسن صحيح"

وليس في الحديث زيادة: "كلها في النار إلا واحدة!"

وهذا الحديث هو أصح حديث يروى في الافتراق.

٢ - حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: "ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفرق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة"، وفيه زيادة "وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما

يتجارى الكلب لصاحبه" أو "الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله" وهذا لفظ أبي داود في سننه.

رواه أبو داود من طريق أبي المغيرة وبقية بن الوليد .

وأحمد في مسنده والدارمي في سننه عن أبي المغيرة.

والحاكم في المستدرک على الصحيحين من طريق الحكم بن نافع.

كلهم الحكم بن نافع وأبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج وبقية بن الوليد عن صفوان قال حدثني

أزهر بن عبد الله عن أبي عامر عبد الله بن لحي عن معاوية مرفوعاً

"أزهر" تكلم فيه أبو داود وذكره ابن الجارود في الضعفاء، وأورده الذهبي في ديوان الضعفاء، ولم

يوثقه سوى العجلي، وقال ابن سعد: "قليل الحديث".

٣ - حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: " إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين

ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي ". .

رواه الترمذي، والحاكم، من طرق عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي عن عبد الله بن يزيد

عن عبد الله بن عمرو .

"عبد الرحمن بن زياد الأفرقي: قال عنه ابن عدي: "عامّة حديثه وما يرويه لا يتابع عليه" وقال

عنه أبو الحسن ابن القطان: "والحق فيه أنه ضعيف لكثرة روايته المنكرات".

٤ - حديث أنس بن مالك رضي الله عنه:

أ - رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثنا قتادة عن

أنس، ولفظه: "إن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة".

وفيه "هشام بن عمار" قال الحافظ ابن حجر عنه: "صدوق كبير فصار يتلقن".

وعن قتادة وهو مدلس.

ب - ورواه أحمد: عن وكيع عن عبد العزيز بن الماجشون عن صدقة بن يسار عن زياد عن أنس،

ولفظه: "إن بني إسرائيل قد افتقرت على ثنتين وسبعين فرقة، وأنتم تفترون على مثلها، كلها في النار،

إلا فرقة".

وفيه زياد النميري قال عنه ابن حبان: "منكر الحديث يروي عن أنس أشياء لا تشبه حديث

الثقات لا يجوز الاحتجاج به".

ج - ورواه أحمد عن حسن عن ابن لهيعة حدثنا خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس مرفوعاً، وزاد في آخره: "قالوا: يا رسول الله من تلك الفرقة؟ قال: الجماعة الجماعة".
ابن لهيعة: ضعيف.

وسعد بن أبي هلال: عاصر أنسًا ولم يسمع منه فروايته عنه تعد إرسالاً خفياً .

٥ - حديث عوف بن مالك رضي الله عنه: "افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافتترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فأحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثلثان وسبعون في النار، قيل يا رسول الله من هم؟ قال الجماعة".
رواه ابن ماجه من طريق عبّاد بن يوسف ، حدثنا صفوان بن عمرو ، عن راشد بن سعد، عن عوف بن مالك.

قال البوصيري: "هذا إسناد فيه مقال، راشد بن سعد ، قال فيه أبو حاتم : صدوق، وعباد بن يوسف لم يخرج له أحد سوى ابن ماجه، وليس له عنده سوى هذا الحديث، قال ابن عدي روى أحاديث تفرد بها، وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات".

٦ - حديث عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه: "إلا أن بني إسرائيل افتترقت على موسى على إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم، وأنها افتترقت على عيسى بن مريم على إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم، ثم إنهم يكونون على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم".
رواه الحاكم: من طريق إسماعيل بن أبي أويس عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده.

وقد قال الحاكم عن هذا الحديث بعد روايته: "تفرّد به كثير بن عبد الله ولا تقوم به الحجة".

٧ - حديث أبي أمامة رضي الله عنه: "تفرقت بنو إسرائيل على سبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسائرهما في النار، ولتزيدن هذه الأمة عليهم واحدة، فواحدة في الجنة، وسائرهما في النار" فقلت: فما تأمري؟ فقال: "عليك بالسواد العظم".
رواه ابن أبي شيبة عن قطن بن عبد الله.
والطبراني في الكبير من طريق حماد بن زيد، ومن طريق داود بن أبي السليك، وقريش بن حيان، وسلم بن زهير.

كلهم قطن وحماد بن زيد وداود وقريش وسلم : عن أبي غالب عن أبي أمامة.
وعلة هذا الحديث أن أكثر الرواة عن أبي غالب عن أبي أمامة إنما رووا حديثه في شأن الخوارج
وأَنهم شر قتلى ... الخ !

٨ - حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: " افتقرت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين ملة،
ثم إن أمتي ستفترق على مثلها، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة".
رواه البزار وغيره من طريق موسى بن عبيدة عن عبد الله بن عبيدة، عن عائشة بنت سعد بن أبي
قاص عن أبيها.

قال البزار: "لا نعلمه يُروى عن سعد إلا من هذا الوجه، ولا نعلم روى عبد الله بن عبيدة، عن
عائشة، عن أبيها إلا هذا الحديث".

و"موسى بن عبيده": "منكر الحديث".

أقوال العلماء في درجته:

قال السيد الكتاني في (نظم المتناثر):

أورده في الجامع [الصغير] من حديث الأربعة [أصحاب السنن]، عن أبي هريرة زاد المناوي في
(التيسير) بأسانيد جيدة.

(قلت) وأخرجه أيضا من حديثه أحمد والحاكم.

وأورده فيه [في الجامع] أيضًا من حديث الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

وأخرجه أحمد وأبو داود من حديث معاوية بن أبي سفيان.

وأخرجه عبد بن حميد في مسنده من حديث، سعد بن أبي وقاص.

وأخرج الحاكم في المستدرک والطبراني في الكبير عن، كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن مالك

عن أبيه عن جده مرفوعا.

وأخرجه أحمد عن أنس مرفوعًا.

وأخرجه ابن أبي عاصم عن علي .

وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن، قتادة قال: سأل النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله

بن سلام: على كم تفرقت بنو إسرائيل؟ قال: على واحدة أو اثنتين وسبعين فرقة، قال: وأمتي أيضًا

ستفترق مثلهم أو يزيدون واحدة كلها في النار إلا واحدة.

فهذا حديث كما ترى وارد من عدة طرق بألفاظ مختلفة، وله ألفاظ أخرى، وقد أخرجه الحاكم من عدة طرق، وقال: هذه أسانيد تقوم بها الحجة. وقال الزين العراقي: أسانيد جياذ.

وفي (فيض القدير) أن السيوطي عدّه من المتواتر، ولم أره في الأزهار.

وفي شرح عقيدة السفاريني ما نصه: وأما الحديث الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنان وسبعون في النار، فروي من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وأبي الدرداء، ومعاوية، وابن عباس، وجابر، وأبي أمامة، ووائلة، وعوف بن مالك، وعمرو بن عوف المزني [١١ صحابياً]، فكل هؤلاء قالوا: "واحدة في الجنة" وهي الجماعة، ولفظ حديث معاوية ما تقدم فهو الذي ينبغي أن يُعَوَّل عليه، دون الحديث المكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم اهـ. يريد به حديث العقيلي وابن عدي عن أنس "تفترق أمتي على سبعين أو إحدى وسبعين فرقة كلهم في الجنة إلا فرقة واحدة" قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: "الزنادقة، وهم القدرية" وفي لفظ: "تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا فرقة واحدة وهي الزنادقة" وقد أورده ابن الجوزي في (الموضوعات) في كتاب السنة وتبعه في (اللائئ) وقال ابن تيمية: لا أصل له بل هو موضوع كذب باتفاق أهل العلم بالحديث.

هذا وقد ضعّف هذا الحديث ابن حزم، وغمز ابن تيمية في صحّته بإعراض الشيخين عن تحريجه، مع أنه يرى صحته، فقال: "فمن كفر الثنتين والسبعين فرقة كلهم فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، مع أن حديث "الثنتين والسبعين فرقة" ليس في الصحيحين، وقد ضعفه ابن حزم وغيره، لكن حسنه غيره أو صححه، كما صححه الحاكم وغيره، ورواه أهل السنن من طرق، وليس قوله "ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة" بأعظم من قوله تعالى "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً" وقوله "ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوق نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيراً". وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدخول من فعل ذلك النار ومع هذا فلا نشهد لمعين بالنار، لإمكان أنه تاب أو كانت له حسنات محت سيئاته أو كفر الله عنه بمصائب أو غير ذلك كما تقدم، بل المؤمن بالله ورسوله باطنًا وظاهرًا الذي قصد اتباع الحق وما جاء به الرسول إذا أخطأ ولم يعرف الحق كان أولى أن يعذره الله في الآخرة من المتعمد العالم بالذنب، فإن هذا عاص مستحق للعذاب بلا ريب، وأما ذلك فليس متعمدا للذنب بل هو مخطفٌ والله قد تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان"، وقال قبل ذلك "وإذا قال المؤمن "ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان" يقصد كل من سبقه من قرون الأمة بالإيمان وإن كان قد أخطأ

في تأويل تأوله فخالف السنة، أو أذنب ذنبا فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان فيدخل في العموم، وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة، فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفارا بل مؤمنين، فيهم ضلال وذنوب يستحقون به الوعيد كما يستحقه عصاة المؤمنين، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخرجهم من الإسلام بل جعلهم من أمته، ولم يقل إنهم يخلدون في النار فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته".

وقد أورده الشوكاني في الفوائد المجموعة وقال: (زيادة "كلها في النار" لا تصح مرفوعة ولا موقوفة).

ثانياً - قول النافين للحديث:

تعرض كثير من المعاصرين لنفي هذا الحديث وعدم قبوله مستدلين على ذلك تارة بالنقد الداخلي للحديث ، وقلة منهم تعرضت لنقد أسانيد وروايته ودفعها.

أ - أما من حيث الإسناد فقد اعتمدوا في ردِّهم بشكل رئيس على الجروح الموجهة لروايته وذلك بتناول كل إسناد على حدة، وهو بذلك تنكب عن منهج المحدثين القائم على أساس أن لا يحكم على حديث إلا بعد جمع طرقه وشواهده، لأن الضعف المحتمل الراجع إلى جرح الرواة من جهة الضبط أو إلى انقطاع خفي في السند (تدليس، أو إرسال خفي) إنما يجبر بتعدد روايات الحديث ومخارجه ، لأنه ما كان يُخشى من عدم الحفظ والضبط يندفع بورود متابعات أو شواهد للحديث فكيف وقد توافر لهذا الحديث مثل هذا العدد الكبير من الطرق والأسانيد، لذلك قال ابن كثير في "التفسير": "طرقه يشدُّ بعضها بعضاً".

قلت: وكم من حديث استدل به هؤلاء وأمثالهم، ذُكرت فيه عِللٌ أكثر مما ذُكر في هذا الحديث ولم تتعدَّ طرقه وشواهده بالمقدار الحاصل في هذا الحديث، ومع ذلك حكموا بصلاحيتهما للاحتجاج، وعملوا بها، بل صرحوا بصحتها.

ب - ومنهم من تلقف مغمز ابن تيمية بأنه ليس مخرجاً في الصحيحين (البخاري ومسلم) وبنى عليه، علماً بأنهم تعاملوا تصريح ابن تيمية بتصحيحه بعد ذلك، ثم إن البخاري ومسلماً رحمهما الله تعالى لم يستوعبا في كتابيهما جميع الصحيح ولم يدعيا ذلك، بل إنهما لم يُخرجا بعض الأحاديث التي نصَّ العلماء على تواترها.

ج - أما من جهة النقد الداخلي (نقد المتن) فقد اعتمدوا على معارضته بأحاديث وآيات وحجج عقلية، من ذلك قولهم:

- إن حديث الافتراق يناهض ويعارض قوله تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) وقوله سبحانه: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) لأن هذه الآيات تُقرّر أنّ هذه الأمة هي خير الأمم، وأنها الأمة الوسط؛ أي الأفضل والأعدل، وأما حديث الافتراق فإنه يقرّر أنّ هذه الأمة هي شرُّ الأمم وأكثرها فتنةً وفساداً وافتراقاً.

- وكما إن حديث أبي موسى رضي الله عنه (أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتْنُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ) والذي حسّنه الحافظ ابن حجر وغيره. يُعارض حديث الافتراق المؤذن بعدم رحمة هذه الأمة، وأنّ عذابها في الدنيا، وهي ناجية يوم القيامة. وقد بالغ بعضهم في النفي والنقد إلى أن وصل به الحد إلى الطعن بالصحيحين مدعياً تحريج الشيخين له.

ثالثاً - المشتون للحديث:

من الملاحظ أن أكثر دعاة السلفية والوهابية هبوا هبة رجل واحدٍ دفاعاً عن هذا الحديث وإثباته ودبّجوا في سبيل ذلك الأبحاث والمقالات بل الرسائل الجامعية والكتب، وقلّ أن تجد موقفاً على الشبكة العنكبوتية ومواقع التواصل الاجتماعي يتبع لهؤلاء الدعاة إلا وتكلّم عن هذا الحديث بمناسبة وبغير مناسبة، وما غرضه من ذلك إلا أن يثبت أنه ينتمي إلى الفرقة الناجية، قائلاً: (نحن فقط على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف)!! ثم يبني على ذلك تكفيره لسائر المسلمين، فكل مخالف لهم ولمسلكهم خارج من رتبة الإسلام.

ولا أحب أن أطيل بمقالاتهم تلك لشيوعها وتواترها عنهم، بل إنك تجتمع أحياناً بطفل تربى في أحضانهم لا يعرف كوعه من بوعه فإذا به يحدثك بحديث الفرقة الناجية ...

رابعاً - موقف العلامة البوطي رحمه الله تعالى من حديث الافتراق:

لقد تناول العلامة البوطي رحمه الله تعالى بمناسبات عدة هذا الحديث، مثبتاً صحته بل ناصراً على تواتره، ومن ثم مبيّناً المراد منه وفق نظرة تأصيلية فقهية تدل على فهم دقيق يعبر عنه رحمه المولى بعبارة واضحة، وذلك في ضوء النصوص الأخرى الدالة على خيرية هذه الأمة، مع رفضه البين لدعوى أصحاب كل مذهب أنهم هم وحدهم أصحاب الفرقة الناجية ومن سواهم من أهل النار، فلنستمع إليه ماذا يقول:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً». هذا الحديث المتواتر.

وقد رواه الترمذي بزيادة: «كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً» قالوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

[قلت: هذه الزيادة بهذا اللفظ هي الواقعة في حديث ابن عمرو رضي الله عنهما].

ثم قال: بعث الله سيدنا محمداً ﷺ إلى الناس جميعاً فمنهم من آمن بالله تعالى وأقرّ لنبيه محمد ﷺ بالرسالة ومنهم من لم يؤمن، فكل من وُجِدَ في عصر رسول الله ﷺ وكل من وُجِدَ فيما بعد إلى قيام الساعة من أمة رسول الله ﷺ فهو من (أمة الدعوة) مسلمين كانوا أو غير مسلمين، وأما الذين استجابوا له وأقروا بنبوته فهم من (أمة الاستجابة).

والمراد بالأمة في قوله ﷺ: (وتفترق أمتي) أمة الدعوة لا أمة الاستجابة، وعليه فإن المراد بالفرق التي تفترق إليها أمته هذه هي الأديان الباطلة الكثيرة الخارجة عن ملة الإسلام، وليس المراد بها الفرق الإسلامية من معتزلة ومُرَجَّئة وجهمية وخوارج ...

يدل على ذلك أمران اثنان:

● **أولهما:** قوله ﷺ في الزيادة التي ساقها الترمذي: «كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً» وقد علمت أن الملة هي الدين ولا يُعبَّر عنها بالفرقة، وملة الإسلام تشمل كل الفرق التي تكاثرت فيها لأن أصحاب الفرق على اختلافهم مؤمنون بوحداية الله تعالى.

● **ثانيهما:** أن النبي ﷺ قال في صدر الحديث: «افتترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافتترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة» ومقتضى بلاغة المصطفى وكونه حجة في البيان والفصاحة أن يقابل كلمة اليهود والنصارى بكلمة المسلمين فيقول (وسيفترق المسلمون إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة) لكنه عدل عن كلمة (المسلمين) وإنما قال «وستفترق أمتي إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة» والمراد بالأمة هنا أمة الدعوة لا أمة الاستجابة، ومعنى «وستفترق أمتي»، أي أمة الدعوة، «إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة»، أي إلى أديان مختلفة متناقضة شتى، والدليل الناطق على هذا أنه قال بعد ذلك: «كلهم في النار إلا ملة واحدة» ولم يقل (إلا فرقة واحدة)، كلها في النار إلا ملة واحدة هي ملة الإسلام بكل فئاتها، بكل مذاهبها، بكل أقوامها، الجامع المشترك بينها والذي يجعل لها هوية الرحمة من الله سبحانه وتعالى ويجعلها تدخل إلى بوابة الرحمة الإلهية والواسعة أمتها جميعاً لَقِيَتْ الله عز وجل وهي تؤمن أن لا إله إلا الله

وأن محمداً عبد الله ورسوله، هذا هو المعنى الذي قصده المصطفى ﷺ فالمسلمون اليوم بكل مذاهبهم، بكل فرقهم، كلهم يستظلون بظل الإيمان بالله، كلهم لهم هوياتهم التي يدخلون بها غداً في رحمة الله عز وجل ألا وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فهذا الفهم لكلمة الأمة في الزيادة التي ساقها الترمذي وآخرون، ينسجم مع سياق الحديث وسبأقه ويفتح سبيل التوافق والانسجام مع الأحاديث الكثيرة المؤكدة بأن "من لقي الله مؤمناً بوحدانيته لا يشرك به شيئاً دخل الجنة".

وإذن فإننا على الرغم من التحذير من الضلالات والبدع التي وقعت فيها الفرق، لا نكفر أياً منهم ونسأل الله لنا ولهم المغفرة والصفح بمنه وكرمه إنه أكرم مسؤول.

وبهذا القول من علامتنا الشهيد يظهر جلياً أنه رحمه الله اعتمد منهج علماء الحديث وعلماء أصول الفقه في التعامل مع هذا الحديث فهو:

أولاً: لم يرفض الحديث ولم يقل بعدم صلاحيته للاحتجاج بل عمل به انسجاماً مع القاعدة القائلة (إعمال الدليل مقدم على إهماله، أو أولى من إهماله).

ثانياً: جمع بين ما توهمه المتوهمون أنه تعارض بين هذا الحديث والآيات والأحاديث الأخرى الدالة على خيرية الأمة، والجمع بين الأدلة قاعدة متفق عليها عند علماء الحديث وأئمة الفقه وأصوله، حيث قرروا أنه إذا وجد تعارض بين نصين أو أكثر من نصوص الكتاب السنة يلجأ أولاً إلى محالة الجمع لدفع هذا التعارض، وبذلك يتبين أن التعارض الحاصل هو تعارض متوهم وليس حقيقياً، فإذا لم نتمكن من الجمع بين النصوص ولم نستطع فهم كل نص منها في ضوء النص الآخر انتقلنا إلى البحث في الأصح من تلك النصوص فقدمناه، أو بحثنا عن المتقدم فعددناه منسوخاً، وحكمنا على المتأخر بأنه ناسخ.

وما وضحه العلامة البوطي رحمه الله تعالى من خلال ما تقدم يمكن أن نفهمه من كلام عدد من الأئمة المتقدمين، ولكن ليس بهذا الوضوح.

يقول الإمام البيهقي في كتاب (الاعتقاد): "قال الله عز وجل (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) وقد جاء كتاب الله ثم السنة ثم إجماع الصحابة بإثبات ما أثبتناه من صفات الله عز وجل ورؤيته وشفاعة نبيه وغير ذلك، فمن نفاه واختلف فيه كان ذلك اختلافاً بعد مجيء البينة، ورد من رد ما ورد فيه من السنة الثابتة جهالة فيه بلزومه إتباع ما بلغه منه وتأويل من تأول ما ورد فيه من الكتاب غير سائغ في الشريعة، فلا وجه لترك الظاهر إلا بمثله أو بما هو أقوى منه

والله يعصمنا من ذلك برحمته، ويشبه أن يكون اختلاف أمثالهم أريد بما رُوينا في هذا الحديث أنه قال (كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة) وفي حديث عمرو بن عوف (إلا واحدة هي الإسلام وجماعته) وفي حديث عبد الله بن عمرو (إلا واحدة ما أنا عليه وأصحابي) وإنما أجمع الصحابة على مسائل الأصول فإنه لم يرد عن واحد منهم خلاف ما أشرنا إليه في هذا الكتاب، فأما مسائل الفروع فما ليس فيه نص كتاب ولا نص سنة فقد اجتمعوا على بعضه واختلفوا في بعضه، فما أجمعوا عليه ليس لأحد مخالفتهم فيه، وما اختلفوا فيه فصاحب الشرع هو الذي سَوَّغ لهم هذا النوع من الاختلاف حيث أمرهم بالاستنباط والاجتهاد مع علمه بأن ذلك يختلف، وجعل للمصيب منهم أجرين وللمخطئ منهم أجرًا واحدًا...".

ثم قال رحمه الله: "من كفر مسلماً على الإطلاق بتأويل لم يخرج بتكفيره إياه بالتأويل من الملة". وقد نص شراح الحديث عند شرحهم لحديث (لا يتوارث أهل ملتين) قالوا: "الإسلام والكفر، فإن الكفرة كلهم ملة واحدة عند مقابلتهم بالمسلمين وإن كانوا أهل ملل فيما يعتقدون". وأما الإمام الخطابي فيقول: "قوله (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) فيه دلالة على أن هذه الفرق كلها غير خارجين من الدين، إذ جعلهم كلهم أمتة، وفيه أن المتأول لا يخرج من الملة وإن أخطأ في تأويله".

وأختم بحثي هذا بهذه الوصية من الإمام الشهيد عليه الرحمة والرضوان وذلك بمناسبة ما يحصل اليوم في يمننا الغالي حفظه الله وبلاد المسلمين من شرٍّ من أراد شرًّا بنا وبأمتنا، يقول رحمه الله: (لا أريد أن يأتي من يقول لي: شيعة وسنة، وما إلى ذلك ... أمام هذا الخطر الأكبر الذي يواجه جذع الإسلام الواحد، لا يجوز أبداً أن نتحدّث عن الأغصان المتفرقة، شيعي سني إلى آخر ما هنالك من الأطياف الأخرى.

الآن العدو لا يتربص لا بسني ولا بشيعي وإنما يتربص بهذا الجذع، كم وكم حاول العدو الإسرائيلي أن يجعل مشاعر العالم الإسلامي المتوهجة تبرد ويبرد لظاها من خلال: "المسألة مؤامرة شيعية المسألة كذا..."، هذا حصل وكانت هنالك أوراق يتم إسقاطها في أحياء في لبنان تتضمن هذا الكلام).